


قبس من نور الصحابة والتابعين

د. محمود جيلاني



الليث بن سعد- إمام أهل مصر



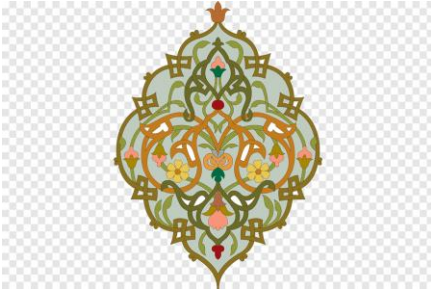
المحتويات

- 3.....بداية الحكاية
- 4.....من شيوخ الإمام الليث
- 7.....الليث بن سعد فقيه مصر
- 8.....الموالي وإمامة الفقه
- 11.....كرم الامام الليث
- 14.....مجالس الليث
- 17.....الليث الإنسان
- 20.....الإمام مالك والإمام الليث
- 23.....الليث في عيون معاصريه
- 25.....وفاة الإمام الليث
- 26.....كلمة أخيرة (بركة الإنفاق)

بداية الحكاية

يُحكى أن سفينة في البحر المتوسط قبالة مصر أوشك الماء العذب فيها أن ينفد، فصار البحارة فيها يستغيثون بسفينة بعيدة في عرض البحر، وكان الرد على استغاثتهم أن ألقوا دلوكم حيث أنتم فأعادوا الاستغاثة وجاءهم نفس الرد. فلما ألقوا دلوهم اكتشفوا أن الماء تحتهم فعلا ماء عذب، إذ كانوا قبالة دمياط حيث يندفع ماء النيل في البحر دون أن يختلط بالماء المالح ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ .

هذه الحكاية تشبه حالنا إذ نطلب المثل والقذوة من عند غيرنا وهي بين أيدينا وحولنا في تاريخنا الإسلامي وأعلامه الشامخة... وأحد هذه الأعلام الراقية والنماذج الرفيعة فقيه مصر ومحدثها ومن يُفتخر بوجوده: الليث بن سعد.



من شيوخ الإمام الليث

هو الإمام الحافظ، شيخ مصر، وعالم الديار المصرية وإمام أهل مصر في الفقه والحديث، الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهم، أبو الحارث. ولد في قلقشندة (قرقشندة)، بمركز طوخ، محافظة القليوبية عام 94 هـ، وهي بلدة حسنة المنظر، غزيرة الفواكه.

كان الليث ثقة، حُجة، تلقى العلم على أيدي تابعي مصر، ثم رحل عن مصر وهو في العشرين إلى مكة للحج سنة 113 هـ، فسمع من علماء الحجاز وتلمذ على يد العديد من التابعين هناك بلغوا حوالي 50 تابعيا منهم عطاء بن أبي رباح وابن شهاب الزهري ونافع مولى ابن عمر وغيرهم. ثم عاد إلى مصر وقد علا ذكره، وجلس للفتيا حتى استقل بالفتوى في زمانه. ومن أبرز شيوخ الزهري:

عطاء بن أبي رباح

أبو محمد، عطاء بن أبي رباح (ت 114هـ) ، ولد عطاء في إحدى ضواحي مدينة تعز اليمنية ثم نشأ بمكة، وتعلم من علمائها ، وروى الحديث عن عائشة وأم سلمة وأبي هريرة وابن عباس وعدد من كبار الصحابة. وكان من أوعية العلم المشهود لهم بالعلم والصلاح والتقوى ويكفي للتعريف به موقفه حين دخل على عبد الملك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به عبد الملك قام إليه فسلم عليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال يا أبا محمد حاجتك؟ فقال عطاء:

يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرمة رسوله فتعاهده بالعمارة،
واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس،
واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقّد أمور المسلمين
فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم
ولا تغلق دونهم بابك. فقال عبد الملك: أفعل إن شاء الله.

ثم نهض عطاء وقام عبد الملك فأمسك بيده وقال يا أبا محمد إنما
سألنا حوائج غيرك وقد قضيناها فما حاجتك؟ قال: ما لي إلى مخلوق
حاجة. ثم خرج فقال عبد الملك:

هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد.

وكان عطاء من أدبه وحسن خلقه يقول: إن الرجل ليحدثني بالحديث
فأنتصت له كأني لم أسمع، وقد سمعته قبل أن يُولد!!.

وهذا من أدب العلماء العظام. فعلى يد عطاء وأمثاله تربي الليث في
الفترة التي قضاها بمكة قبل عودته لمصر.

ابن شهاب الزهري

محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، نزيل الشام ، ولد في أواخر خلافة
معاوية سنة 58 هـ ، أدرك بعض صغار الصحابة وكان من أحفظ
أهل زمانه وكان فقيها فاضلا. وقال عنه الليث: ما رأيت عالما قط
أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علما منه.

وأحاديث الزهري التي رواها عن سالم بن عبد الله بن عمر تعتبر من أصح الأحاديث، وهي تشبه السلسلة الذهبية المعروفة والتي يرويها مالك عن نافع عن ابن عمر ، ففي كلتا السلسلتين يوجد راويان فقط بين المحدث وبين رسول الله وكل من في السند عُدول وثقات.

وقد أمره عمر بن عبد العزيز بكتابة أحاديثه، وتعتبر ذلك أول محاولة لتدوين السنة حيث كانت الأحاديث قبل ذلك تنتقل شفها فقط وكانوا يترجون من كتابة الأحاديث خشية أن تختلط بالقرآن، حتى فتح عمر بن عبد العزيز باب التدوين لاسيما حين بدأ المزورون في وضع الأحاديث. مات الزهري سنة أربع وعشرين ومائة.

نافع مولى ابن عمر

أبو عبد الله الفقيه ، مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، كان من سبي بلاد الأفغان ، ووقع في سهم عبد الله بن عمر ، فأسلم ، وصار من أعلم التابعين، ولكن ظل لسانه يعاني من اللحن بسبب أصوله غير العربية، بعثه عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم الناس السنن ، وكان يجلس بعد الفجر في المسجد يعلم الناس حتى تطلع الشمس. كان مالك بن أنس يقول كنت إذا سمعت حديث نافع عن بن عمر لا أبالي ألا أسمع من غيره. مات 117هـ.



معلوم أنه قد جاء إلى مصر بعد الفتح حوالي 140 صحابي منهم أبو ذر الغفاري، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وعمرو بن العاص. ثم من بعدهم جاء عدد من التابعين، ثم من بعدهم سطع في مصر نجم الليث بن سعد ففاق علماء عصره. وكان الشافعي يقول:

الليثُ أفقهُ من مالكٍ إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

وكان متولي مصر (الوالي) وقاضيه وناظرها كانوا جميعا يرجعون إليه ويستشيرونه. ولما اختلف الفقهاء في حكم بناء الكنائس الجديدة بمصر ما بين مؤيد ومعارض أخذ الخليفة برأي الليث الذي أجاز بناءها واحتج بأن كثيرا من الكنائس بمصر ما بنيت إلا في عهد الإسلام والصحابة والتابعين.

ولقد أراده أبو جعفر المنصور ثم هارون الرشيد بعد ذلك أن يتولى الإمارة بمصر فاعتذر منهما. يقول الليث: قال لي أبو جعفر المنصور: تلي لي مصر؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين إني أضعف عن ذلك، إني رجل من الموالي.

فقال أبو جعفر: ما بك ضعف ولكن ضعفت نيتك في العمل لي. ومع ذلك أمر المنصور واليه بمصر ألا يقطع أمرا دون مشورة الليث.

الموالي وإمامة الفقه

اعتذر الإمام الليث كما ذكرنا لأبي جعفر المنصور عن تولي الإمارة لأنه من الموالي. والموالي كمصطلح ليس بالضرورة أن يكون المقصود به العبيد، فالمَوْلَى كلُّ من وَلِيَ أمرًا أو قامَ به.

وكلمة "مولى" تأخذ معانٍ أحيانا متضادة فإذا قلت أن "الله مولى الذين آمنوا" فيكون معناها مالكهم ومدبر أمورهم، أما إذا قلت فلان من موالي فلان فغالبا تقصد أنه من عبيده، ويمكن أيضا أن يكون حليفا له. ومصطلح الموالي في الغالب يطلق على أهالي البلاد المفتوحة الذين دخلوا في الإسلام فتحالفوا مع قبائل معينة، فصاروا موالي (أي حلفاء يوالون القبيلة الفلانية وليسوا عبيدا لهم) أو موالي لشخص عظيم فيسمون موالي فلان. والله تعالى يقول في وصف يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٥١﴾. والمعنى في الآية يصلح أن يكون بمعنى لا يغنى السيد عن عبده، كما يصلح أن يكون بمعنى لا يغنى العبد عن سيده.

وقد ولد الليث في مصر لأسرة من الفرس من أصبهان (تقع في إيران حاليا) وهذه الأسرة كانت من موالي خالد بن ثابت بن ضاعن الفهمي، لذا يُنسب الليث إلى بنى فهم.

والحقيقة أنه ليس في الإسلام طبقية بل جاء الإسلام ليهدم "الطَّبَقِيَّة"،
 وَيُسَوِّيَ بين الناس، ففي الحديث الشريف: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ
 أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى
 أَسْوَدَ وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ.

صححه الألباني

وفي خطبة الوداع قال صلى الله عليه وسلم: "كُلُّكُمْ لِأَدَمَ وَآدَمَ مِنْ تَرَابٍ".
 والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
 لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ .

والنبي أمر مولاة زيد بن حارثة على جيش مؤته، ثم أمر أسامة بن
 مولاة زيد قبل وفاته على جيش فيه أبو بكر وعمر، ولما أراد عمر أن
 يستخلف قال: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لوليته.

إذن كانت المساواة كاملة في العصر النبوي والراشدي، لكن يبدو أن
 هؤلاء الموالى ربما أحسوا في العصر الأموي بشيء من تعالى العرب
 عليهم فعوضوا ذلك بتمييزهم في كافة النواحي ومنها تمييزهم في الفقه.
 والقصة المشهورة التالية تبرز كيف أن الموالى كانوا هم أفقه علماء
 عصرهم. فقد سأل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك يوماً: من فقيه
 المدينة؟ فقالوا: نافع مولى ابن عمر. قال: فمن فقيه مكة؟ قالوا: عطاء.
 قال: أمولى أم عربي؟ قالوا مولى. قال: فمن فقيه اليمن؟ قالوا: طاووس.
 قال: أمولى أم عربي؟ قالوا: مولى. قال: فمن فقيه اليمامة؟ قالوا: يحيى

بن أبي كثير. قال: أمولى أم عربي؟ قالوا: مولى. قال: فمن فقيه الشام؟ قالوا مكحول. قال: أمولى أم عربي؟ قالوا: مولى. قال فمن فقيه أهل الجزيرة؟ قالوا: ميمون بن مهران. قال: أمولى أم عربي؟ قالوا: مولى. قال: فمن فقيه خراسان؟ قالوا: الضحاک بن مزاحم. قال: أمولى أم عربي؟ وقالوا: مولى. قال: فمن فقيه البصرة؟ قالوا الحسن وابن سيرين. قال: أموالي أم عرب؟ قالوا: موالى. حتى سأل: فمن فقيه الكوفة؟ قالوا: إبراهيم النخعي. قال: أمولى أم عربي؟ قالوا: بل عربي. قال: كادت نفسي تخرج ولا تقول عربي واحد.

ولما سمع عمر بن عبد العزيز أن بعض الناس أنفوا أن يكون أهل الفقه كلهم من الموالي، قال:

ما ذنبي إذا كانت الموالي تسمو بأنفسهم سعدا وأنتم لا تسمون.

فكان الليث ممن تسمو أنفسهم سعدا.



ضريح الإمام الليث

من العجيب أن تجد معظم المؤرخين الذي ذكروا الليث يصفونه بعبارة واحدة وكأنها متوارثة عنه، وهى قولهم:

كان سرىا من الرجال، نبىلا سخىا له ضىافة،

والسرى هو صاحب السخاء والكرم. والحق أن الإمام الليث بن سعد كان من الكرماء الأجواد، بل إن الأحاديث من كرمه وجوده تفوق الأحاديث عن فقهه رغم المنزلة الرفيعة لفقهه والتي تحدثنا عنها.

❖ كان دخله فى كل سنة 20000 دينار وقيل 80000 ومع ذلك لم تجب عليه زكاة درهم واحد لأنه كان يفرقها فى الصلوات والصدقات قبل أن يحول عليها الحول، بل ربما يحول عليه الحول وعليه دين.

❖ جاءته امرأة فقالت: يا أبا الحارث، إن ابناً لى عليلٌ، واشتهى عسلاً. فقال: "يا غلام، أعطها مرطاً من عسل". والمرط: عشرون ومائة رطل فتعجبوا تسألـه ملئ كـوب، فىعطىها 120 رطلاً أى بما يزيد عن 50 كيلو جراماً، فقال الليث:

إنها سألتنى على قدرها فأعطيتها على قدر عطاء الله لنا.

وكان للإمام الليث مزارع واسعة تنتج العسل، ولا تزال محافظة القليوبية - وتتبعها مدينة طوخ التي ولد بها الليث - مشهورة بذلك

حتى الآن، حتى أن مدينة بنها وهي عاصمة القليوبية تسمى حتى الآن بـ "بنها العسل"!!.

❖ والليث أحد تلاميذ الإمام ابن شهاب الزهري المعروف بالسخاء الواسع، والذي قال فيه الليث بن سعد:

**كان ابن شهاب الزهري يعطي كل من جاء يسأله حتى إذا
لم يبق شي استلف من أصحابه، حتى إذا لم يبق شي
استلف من عبده!!.**

إذن فقد سار التلميذ على درب أستاذه.

❖ ولما حج الليث ذهب لزيارة مالك فأهداه مالك طبقا فيه تمر، فرد الليث إليه الطبق وفيه ألف دينار، وقيل رده مملوءة بالذهب. وكان يرسل للإمام مالك سنويا ١٠٠٠ دينار فكتب إليه مالك: إن على دينا فبعث إليه ٥٠٠٠ دينار.

❖ وكان الليث يواسي الغرباء والمحتاجين، ويفعل ذلك وإن جر عليه تبعات ثقيلة، فمن ذلك أن أحد ولاة العباسيين بمصر وكان يدعى عبد الله بن علي كان يطلب من بقي من بني أمية فيقتلهم، فدخل مصر واحد من هؤلاء المطلوبين يدعى أسد بن موسى الأموي، وظل مطاردا بها في حالة رثة، فلم يجد إلا أن يذهب إلى الليث في أحد مجالسه. يقول أسد بن موسى: فلما فرغ المجلس خرجت فتبعتني خادم فردني إليه، وغمز الخادم فخرج ثم دفع إلي صرة

فيها ١٠٠ دينار وقال: أصلح بها أمرك ولم شعتك. ولم يعرفه.. يقول أسد بن موسى: وكان معي ألف دينار فأخرجتها وأخبرته بنسبي ورددت إليه المال فرفض وقال: هي صلة وليست صدقة، فاعتذرت إليه عن قبول صلته وقلت: أكره أن أعود نفسي عادة أنا عنها غني، قال الليث: فادفعها إلى بعض أصحاب الحديث ممن تراه مستحقا. ولم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها في جماعة.

❖ وكان يعين على نوائب الحق، فعندما احترقت كتب ابن لهيعة وكان من كبار علماء عصره بعث إليه الليث بن سعد ألف دينار.

❖ وقيل: كان الليث في كل صلاة يتصدق على 200 مسكين.

❖ ومما يدل على أريحية الإمام الليث ما ورد أنه اشترى قوم منه ثمار مزرعة من مزارعه فاستغلوها فترة ثم أرادوا الرجوع في الصفقة وأن يردوا إليه الحديقة فقبل منهم ثم أمر لهم ب 500 دينار. فقال له الحارث ابنه في ذلك فقال: "إنهم كانوا يأملون فيها أملا فأحببت أن أعوضهم عن أملهم بهذا.

إن نفسه تحدّثه أن هؤلاء ربما ردوها لظروف جدت عليهم رغم أنه لم يسألهم لم ردوها ولكنها الأريحية والنفس الكريمة.



لطائف

مجالس الليث

كان الليث له في كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها:

فأما المجلس الأول فيأتيه فيه السلطان في نوائبه وحوائجه وكان السلطان يغشي مجالس الليث، فإن أنكر الليث من القاضي أو من السلطان شيئاً كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه العزل فوراً..

وسأله هارون الرشيد يوماً فقال: يا ليث ما صلاح بلدكم؟ قال الليث: يا أمير المؤمنين

صلاح مصر في شيئين: جري النيل وعدل الوالي،

وكان يقول: من رأس العين يأتي الكدر، فإذا صفا رأس العين (يقصد الحاكم) صفت السواقي (يقصد الرعية) وجرى الماء صافياً.

وكان أشد ما يسوء الليث بن سعد من ولاة الأمر أن يقبل أحدهم هدية وكان يجهر في مجالسه أنه:

إذا دخلت الهدية من الباب، خرجت العدالة من الشباك..!

وكان ينصح كل صاحب منصب ألا يقبل هدية من أحد من الرعية، وإن لم يكن للمهدي حاجة، فإذا قبل صاحب المنصب النصيحة ورفض الهدية شكره، أما إذا أبى، كتب للخليفة فعزله.

وقد عاتب أحد المعزولين الليث بن سعد فقال: "نصحتك فلم تنتصح، ومصالحة الرعية أولى وما صبري على ظلم الرعية؟" وكان المعزول لا يملك إلا راتبه، فأجرى عليه الليث راتبه من ماله الخاص.

ثم يجلس في المجلس الثاني لأصحاب الحديث وطلاب العلم.

ثم يجلس في المجلس الثالث لعموم الناس يسألونه في أمور الدين والدنيا.

ثم يجلس في المجلس الرابع لحوائج الناس لا يسأله أحد من الناس فيرده كبرت حاجته أو صغرت.

وكان يجلس للطعام مع عموم الناس، فكان لا يتعدى ولا يتعشى إلا مع الناس طوال اليوم. وكان لا يطعم الناس إلا أفضل الطعام فكان يطعمهم في الشتاء الهريسة بعسل النحل وسمن البقر، ويطعمهم في الصيف سويق اللوز بالسكر، وكان يطعم أصحابه الفالودج (حلوى تشبه البسبوسة)، ويضع فيه الدنانير ليحصل كل من أكل كثيرا مالا أكثر من أصحابه.

وكان الليث مع كل هذا رقيق القلب سريع التأثر بالموعظة.. وقف يوما أبو السرى وهو أحد الوعاظ في المسجد فقال كلاما جميلا في مدح رب العالمين، وكان الليث إذا تكلم أحد في المسجد الجامع أخرجه، فجاء رجلان فأخذا الرجل وقالوا: أجب أبا الحارث، فقال الرجل: واسوأته أخرج من البلد هكذا. قال أبو السرى: فلما دخلت على الليث، قال:

أنت المتكلم في المسجد؟ قال: نعم، قال: أعد ما قلت، فأعدته والشيخ يبكي، وكان عنده خادم فغمزه فخرج، ثم ضرب الليث بيده إلى مصلاه فاستخرج كيسا فيه ألف دينار فدفعه إلي ثم قال:

**صُنْ هَذَا الْكَلَامَ عَنْ أَبْوَابِ السَّلَاطِينِ، وَلَا تَمْدَحَنَّ أَحَدًا مِنَ
الْمَخْلُوقِينَ بَعْدَ مَدْحِكَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلِكَ عَلَيَّ فِي كُلِّ سَنَةٍ
مِثْلُهُ وَلَا تُخْبِرْ بِهَا ابْنِي فَتَهُونَ عَلَيْهِ.**

فهذا من سمو الأخلاق أن يحفظ للناس أقدارهم ولا يشعر أحدا بحاجتهم وفقيرهم حتى ابنه وخادمه.



مسجد الإمام الليث بالمقطم بمصر

سلطان

الليث الإنسان

كان الليث من أغنى أغنياء مصر، إن لم يكن أغناهم على الإطلاق، ولكنه - كما قلنا - لم تجب عليه زكاة المال قط لأنه كان كريما وصولا للناس، وكان يعيش عيشة متزنة سوية كريمة وكانت تظهر عليه مظاهر نعم الله.

❖ فكان لا يلبس إلا أفضل الثياب وأفخمها وأغلاها. خرج الليث يوما فقوموا ثيابه ودابته وخاتمه وما عليه فوجدوه 18000 درهم، وكان لا يأكل إلا أفضل الطعام، ولا يأكل إلا بلحم إلا أن يكون مريضا.

❖ وكان ربما يسافر إلى الإسكندرية يقضي بها وقتا فيسافر في النيل ويأخذ معه ٣ سفن: سفينة فيها مطبخه، وسفينة فيها عائلته، وسفينة فيها ضيوفه.

❖ فهو حتى إذا خرج لنزهة لا يخرج إلا معه أضياف فإذا حضرت الصلاة خرجوا جميعا إلى شط النيل فصلوا ثم يكملوا رحلتهم.

❖ ولهذا كان يبدو شابا دائما حتى وهو عجوز، فكان ابن لهيعة « وهو أحد كبار العلماء » وكان أصغر من الإمام الليث بثلاث سنوات، ومع ذلك فمن نظر إليهما يقول: ذا ابن وذا أب. يعني ابن لهيعة هو الأب رغم أنه الأصغر سنا.

❖ ورد أن الإمام مالك لأمه لتمتعه بأطيب الطعام، وتزينه بأبهى الثياب، وخروجه للنزهة في الحدائق والأسواق، فكتب مالك إليه معاتباً: “بلغنى أنك تأكل الرقاق وتلبس الرقاق” أى الثياب الراقية الفاخرة” وتمشى في الأسواق”. فكتب إليه الليث: “قال الله تعالى: **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**”. ويبدو أن مالك قد اقتنع بوجهة نظر الليث فسار على نهجه حينما طابت له الدنيا، فنال من زينتها ما جعل أتباعه يستفسرون عنها فيقول لهم: “إن الله يحب أن يرى نعمته على عبده.”

❖ وكانت ليث ضيعة بالفرما - بلدة تقع الآن قرب مدينة بورسعيد بمصر - يأتيه عائد أرضه فيها، فلا يُدخله داره، بل يجلس أمام أحد أبوابها العشرين وقد جعل المال في صرر يوزعها جميعاً صرة بعد صرة،

وكان لا يتصدق بأقل من خمسين ديناراً..

هذا هو الليث، تتقف كأحسن ما تكون الثقافة، وسارت به الحياة في اتزان تام فطالت به فترة الشباب وفترة الصحة، وكان شهماً كريماً للقريب والبعيد وقبل كل ذلك كان محدثاً فقيها ورعاً.

لقد كان يحسن استثمار أرضه، الواسعة الخصبة حتى لقد كانت تدر عليه نحو عشرين ألف دينار كل عام، فقد كان يحب الناس ويحب الحياة، على أنه في نفس الوقت كان يرى أنه لا فائدة من أن تكون سعيدا وسط تعساء، ومن أجل ذلك كان يرى أنه ليس من حق أحد أن يحتفظ بمال إلا إذا بلغ الناس حد الكفاية.

والحكام وولاة الأمور مسؤولون أمام الله عن أن يوفرُوا للناس جميعا حد الكفاية لا حد الكفاف، وحد الكفاف هو ما يحفظ للناس حياتهم من الطعام والشراب، أما حد الكفاية فهو ما يكفي كل حاجات الناس من جودة الطعام والشراب، والمسكن الصالح المريح، والدواب التي تحملهم، والعلم الذي ينقذهم من الضلال، وسداد ديونهم، ولعل هذه الفتوى جاءت من اقترابه من الفقراء ومعاشرتهم وشعوره بمعاناتهم اليومية، فكانت الفتوى هنا انتصار للعدالة الاجتماعية بمفهوم العصر الحالي.



الإمام مالك والإمام الليث

جاء قوم من أهل مصر إلى الإمام مالك بالمدينة يستفتون فامتتع عليهم ولم يخرج لهم، فقالوا: ليس كصاحبنا - يقصدون أن مالكا ليس في بساطة الليث وتواضعه- فسمع مالك كلامهم فقال لهم: من صاحبكم؟ قالوا: الليث بن سعد. فقال مالك في تواضع:

تشبهونني برجل كتبت إليه: أي أريد أن أزوج ابنتي فأحب أن تبعث إلي شيئا من عصفر وهو ما يصبغ به الثياب وله رائحة طيبة... فبعث الليث إليّ ثلاثين حملا من عصفر فصبغت لأبنتي وأهديت لجيراني وبعث منه بخمسمائة دينار وبقي فضلة عندي!!.

هكذا كان مالك يقدر الليث كإنسان.

لكن في الرسائل المتبادلة بينهما تجد نوعا آخر من التقدير العلمي بينهما، فقد كان بين الإمام مالك والإمام الليث رضي الله عنهما مودة وتجلة واحترام. ولقد تبادل مالك والليث رسالتين حفظهما التاريخ هما من أمتع الرسائل المتبادلة بين كبار العلماء، وفيها تقدير متبادل ومبارزة فكرية متبادلة حول فقه كل واحد منهما لاسيما مسألة أخذ الإمام مالك بعمل أهل المدينة كحجة وأصل من أصول الفقه، وكانت حجة مالك في ذلك أن الناس تبع لأهل المدينة فإليها كانت الهجرة وبها تنزل القرآن وأجل الحلال وحُرِّم الحرام، وبها كان الصحابة والرسول بين أظهرهم

يأمرهم فيطيعونه، ومن ثم فعمل أهل المدينة بالنسبة للإمام مالك لا بد وأن يكون الأقرب إلى صحيح السنة.

ويبعث الإمام مالك إلى الإمام الليث برسالة فيها يدعوه فيها لهذا المعنى ويقول مالك فيها:

وأنت في أمانتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدتك واعتمادهم على ما جاءهم منك حقيق أن تخاف على نفسك وتتبع ما ترجو النجاة

باتباعه، فإن الله يقول في كتابه ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ

الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا

عَنْهُ ﴾، فانظر رحمك الله فيما كتبت إليك لنفسك، واعلم أنني لا

أرجو مما كتبت إليك إلا النصيحة لله وحده.

وكان رد الإمام الليث غاية في الأدب والذوق الرفيع فهو وإن كان في النهاية لا يوافق على جعل عمل أهل المدينة مقدا على غيره من الأصول إلا أنه يورد هذا الاعتراض بأسلوب راق ورفيع فيقول:

قد أصبت بالذي كتبت إن شاء الله ووقع منى بالموقع الذي تحب

وما أجد أحدا أشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة منى والحمد لله رب

العالمين. ثم يصل في رسالته إلى القضية الأساسية وهي حجية عمل

أهل المدينة فيقول: ولكن كثيرا من السابقين الأولين خرجوا إلى

الجهاد في سبيل الله فخرج آلاف من الصحابة إلى مشارق الأرض

ومغاربها وهم عاشروا الرسول وأخذوا عنه واجتمع إليهم الناس في
الأمصار.

فوجهة نظر الليث أن أهل المدينة لا يمثلون كل الصحابة والخلاف
وسِعَمَهم أنفسهم، وعدّد الليث في رسالته بعض أوجه الاختلاف مع مالك
ثم ختمها بدعاء للإمام مالك حيث قال:

**واني أحب توفيق الله إياك، وطول بقائك لما أرجو للناس في
ذلك من المنفعة، واني أخاف الضيعة إذا ذهب مثلك.**

ويبدو أن الإمام مالك قد اقتنع بوجهة النظر هذه، ولعل هذه المناظرة
هي ما جعلت الإمام مالك يرفض طلب أبي جعفر المنصور بعد ذلك
بأن يلزم الأمة كلها بفقهِه مالك ونصحه أن يترك لكل بلد فقهِه تأثراً
بوجهة نظر الليث. رضي الله عنهم جميعاً.



الليث في عيون معاصريه

- ❖ كان يحيى بن بكير وهو من فقهاء عصر الليث يقول: ما رأيت أحداً أكمل من الليث، كان فقيهاً، عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو ويحفظ الشعر والحديث، وما زال يعدد خصالاً جميلة ويعقد بيده حتى عقد عشرة... ثم قال: لم أر مثله.
- ❖ وقالوا: كان أهل مصر ينقصون عثمان بن عفان رضى الله عنه حتى نشأ فيهم الليث بن سعد فحدثهم بفضائل عثمان فكفوا عن ذلك.
- ❖ قال الإمام الذهبي: كانت الأهواء والبدع خاملة في زمن الليث، ومالك، والأوزعي وكانت السنن عزيزة ظاهرة.
- ❖ وكان منذ صغره ينظر إليه على أنه إمام، يقول الليث عن نفسه: رأيت يحيى بن سعيد الأنصاري، وهو من التابعين ومن مشايخ الليث، وقد فعلت شيئاً من المباحات فقال: "لا تفعل فإنك إمام منظور". فكان إماماً وهو ما زال شاباً حدثاً.
- ❖ وكان ابن وهب الفقيه تلميذ مالك، واشتهر بأنه ديوان العلم، فكانت تقرأ عليه مسائل في فقه الليث فمرت به مسألة فقال رجل من الغرباء: "أحسن والله الليث، كأنه كان يسمع مالكا يجيب فيجيب هو". فقال ابن وهب للرجل:

بل كان مالك يسمع الليث يجيب فيجيب هو..

والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا قط أحدا أفقه من الليث.

وكل ما كان في كتب مالك يقول فيه: "أخبرني من أرضى من أهل العلم"، فهو يقصد بذلك الليث بن سعد.

وهذا الكلام يقوله ابن وهب الذي قالوا عنه: " ما من أحد إلا وزجره مالك، إلا ابن وهب". وكان ابن وهب يقول: لولا مالك والليث بن سعد لضل الناس.

إلى هذه الدرجة يكاد يجمع كل من عاصره أنه فلتة عصره، إلا أن آثاره للأسف لم تصل إلينا جميعها فضاع أكثرها.



وفاة الإمام الليث

توفي الإمام الليث سنة 175 هـ قبل وفاة الإمام مالك بأربعة سنوات، وذلك ليلة الجمعة وهي ليلة النصف من شعبان ودفن بعد صلاة الجمعة. يقول أحد أبناء تلاميذه: "شهدت جنازة الليث بن سعد مع والدي، فما رأيت جنازة قطُّ أعظم منها، رأيت الناس كلهم عليهم الحزن، وهم يعزِّي بعضهم بعضًا، ويبكون؛ فقلت: يا أبتِ، كأنَّ كل واحد من الناس صاحب هذه الجنازة. فقال:

يا بُنيَّ، لا ترى مثله أبدًا".

ودفن في مقبرة فوق جبل المقطم كُتب عليها:

**الإمام الزاهد الفقيه العالم الليث بن سعد أبو الحارث المصري مفتي
أهل مصر.**

وعلى باب المسجد كتب:

إذا رمت المكارم من كريم

فيمم من بنى للفضل بيتا

فذلك الليث من يحمي حماه

ويكرم جاره حيا و ميتا

ثم بنى على هذه المقبرة مسجد بعد أكثر من 400 سنة ولا يزال المسجد والقبة موجودين حتى الآن بمصر فوق جبل المقطم. رحم الله الإمام الليث الزاهد الفقيه أغني أغنياء مصر وأعلمهم وأجودهم.

كلمة أخيرة (بركة الإنفاق)

كانت حياة الإمام الليث المالية غاية في الغرابة، فهو كما ذكرنا أغنى الأغنياء رغم كثرة إنفاقه وصدقاته، وتلك من بركة الإنفاق في سبيل الله:

فالله تعالى ينمى المال ويبارك فيه، ورغم أن الزكاة في ظاهرها تنقص من كمية المال لكن صاحب الزكاة والإنفاق موعودٌ من الله بالتعويض عما أنفق؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٢٩). وروى مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما نقصت صدقةً من مال".

والملائكة تدعو للمنفق في سبيل الله كل صباح أن يعوضه الله عن صدقته كما في الحديث: مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

وأصل كلمة الزكاة من الفعل (زكَّى) ، بمعنى طهر لأن القصد من إنفاق المال هو تزكية النفس وتطهيرها من الشح كما قال تعالى : ﴿ حَذِّمْنَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (١٠٣) .

• وورد في فضل الزكاة والصدقة أيضا من مراسيل الحسن البصرى حديث: حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة.

- ومن بركات الإنفاق في سبيل الله أنه يأخذ بيدك إلى درجة البر كما قال تعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ﴿٩٢﴾
- وهو طريقك للوقاية من حر يوم القيامة ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ امرئٍ في ظلِّ صدقته حتى يُفصل بين الناس - أو قال: يُحكَم بين الناس».
- والصدقة سبب في عون الله للمتصدق ؛ كما قال الله سبحانه: ﴿ فَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ ﴾
- والصدقة طريق لتكفير السيئات، كما في الحديث: (ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يَطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ)
- وَمِنْ فَضَائِلِ الزَّكَاةِ: أَنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَتْ فِي السِّرِّ، ففي الحديث " صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ رِوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ.
- وفي المقابل فإن المُمتنع عن إخراج الزكاة قد توعدده الله بآلا يبارك له في ماله، ويُسلط عليه الفقر والحاجة، كما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمَا مَنَعَ قَوْمٍ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا».

هذه الكتيبات

هذه المحاولة في تلخيص تاريخ الشخصيات المميزة عبر تاريخنا الإسلامي أخذت منى سنين طويلة حتى أصل إلى هذه النتيجة.

ومن وجهة نظرى تتميز هذه الكتيبات بما يلى:

- 1- جميع الأحاديث النبوية الواردة فى الكتيبات تم تخريجها للتأكد من صحتها. مع تجنب ذكر أي رواية غير موثقة.
- 2- التركيز فقط على الجوانب الإيمانية والخلقية في الشخصية.
- 3- التعليقات فى الحدود الدنيا، منعا للتطويل لكنى أضفت كلمة أخيرة في نهاية معظم الشخصيات للحديث عن أبرز سمة.
- 4- اللغة السهلة في الكتابة لتتناسب عموم الناس.
- 5- الحجم الصغير بحيث لا يستغرق قراءته أكثر من 20 دقيقة.

في النهاية **أؤكد على أنى لست عالم دين، ولكنى مسلم عادى يحاول خدمة دينه** بعرض هذه النماذج من تاريخنا بالصورة اللائقة دون تزويق أو تزوير، بهدف الاقتداء المستتير بهذه الشخصيات.

جميع الكتيبات تجدها في موقعى www.drgilany.com

هذه الكتيبات وقف لله تعالى على روح والدتى رحمها الله.